إِكْحَالُ النَّوَاظِرِ

في بَيان اشتقَاقِ اسمِ (فَاطِمَة) من (فَاطِر)

الشيخ أحمد الدرُّ العاملي
الجمهورية اللبنانية

إكْحَالُ النَّوَاظِر في بَيان اشتقَاقِ اسمِ (فَاطِمَة) من (فَاطِر)

الشيخ أحمد الدرُ العاملي
الجمهورية اللبنانية

باسم الـذي فَطَـرَ الأكـوانَ عـن عـدَمِ ... ربِّ البرايـــا وربِّ اللـــوحِ والقلَـــمِ

ثمَّ الصَّـلاةُ علـى الهـادي وعترتِـهِ ... خـيرِ البريَّـةِ مِـن عُـربٍ ومـن عجَـمِ

المصـطَفَينَ علـى كـل الخلائـق لم ... يلحقهُـمُ أحـدٌ في العلـمِ والحِكَـمِ

قـد خصَّـهُم ربُّهـم مـن بَـدءِ نشـأتِهم ... مـن نـورِهِ نـورُهُم يُشـتقُّ في القِـدَمِ

واشـتقَّ اسمـاءَهم ربُّ الخلائـقِ مـن ... أسمائِـهِ فَسَـمَت في عـالَمِ الكَلِـمِ

أسمـاؤُهُم وُجِـدت مـن قبـلِ آدمِنـا ... بهـا رجـا توبـةً مـن بـارئِ النَّسَـمِ

لاسـيِّما فـاطمٌ مـن فـاطرٍ شَـقَّهُ الـ ... ـلَّهُ اعتنـاءً بهـا سـبحانَ ذي الكـرمِ

ففـاطرٌ لجميـع الخلـقِ وهـي غـداً ... في الحشـرِ فاطمـةٌ للعفـو والـنَّقَمِ

طـوبى لشـيعتِها دنيـا وآخـرةً ... ثمَّ الصَّـلاةُ ختامـاً خـيرَ مختَـتَمِ

تقديم :ـ

(((قول: "لا أعلم" نصفُ العلم))[1]، فلا يقدح في المعرفة الجهلُ بمسائل معدودة، وإنما يُستدَلُّ بقول العالِم: "لا أدري" على تقواه، وأنَّه لا يُجازِفُ في أحكامه وفتاواه؛ ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام : (لا يَسْتَحْيِي العالمُ إذا سُئِل عمَّا لا يَعلمُ، أن يقولَ: لا عِلمَ لي بِهِ)[2].

وإنَّما يمتنعُ مِن "لا أدري" مَن قلَّ علمُهُ، وعُدمت تقواه وديانتُهُ، لأنه يخافُ ـ لِقُصوره ـ أن يسقطَ من أعين النَّاس، وهذه جَهَالةٌ أخرى منه؛ فإنَّه بإقدامه

على الجواب فيما لا يعلمُ، يبوءُ بالإثم العظيم، ولا يصرِفُهُ عمَّا عُرِف به من القُصُور، بل يُستَدَلُّ به على قصوره.

ومن المعلوم أنَّه إذا رُئِيَ المحقِّقون يقولون في كثيرٍ من الأوقات: "لا أدري"، وهذا المسكين لا يقولُها أبداً، يُعلم أنَّهم يتورَّعون لِدينهم وتقواهم، وأنَّه يجازفُ لِجهلِه وقِلَّةِ دِينه، فيقعُ فيما فرَّ منه، ويتَّصف بما احترز عنه، لفساد نيَّتِه وسوءِ طويَّته)[٣].

ومن سجايا الحكماء، وسِمات العقلاء، (أنْ يَقولوا ما يَعْلمونَ، ويَقِفوا عِندَ ما لا يَعلَمُونَ)، وهو حقُّ الله على العباد، كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام [٤].

فإذا رأيتَ أحدَ المتطفِّلين على موائد أهل العلم - وقد أعوزَهُ الفَهمُ لِدَرْك مسألةٍ من المسائل المتعلِّقَةِ بالدِّين، ولا سيَّما المتعلِّقة بالصفوة المعصومين عليهم السلام - وقد تَركَ لذوقيَّاته وافتراضاته الزِّمامَ في إصدارِ الأحكام، وراحَ ينفي ما أثبَتَهُ الدَّليلُ، ويُثبتُ رأيَهُ بالأباطيل، غيرَ مُكترِثٍ لتحذيرِ مُحَذِّر، ولا آبهٍ لإنذارِ مُنذِر؛ فاعلَمْ أنَّ لسانَهُ كاشفٌ عن هويَّتِه، مُظهِرٌ لمُضمَرات طَويَّته.

ولقد قال أميرُ الكلام عليه السلام: (ما أضمَرَ أحدٌ شيئاً إلا ظَهَرَ في فَلَتَات لسانه، وصَفَحَات وَجهه)[٥]، و (المرءُ مخبوءٌ تحتَ لسانِه)[٦]، و (الألسنُ تُترجِمُ عمَّا تُجِنُّه الضَّمائرُ)[٧].

وظيفةُ العلماءِ تِجاهَ السُّفهاء :-

وعند مواجهة أمثالِ هؤلاء، لا بدَّ لنا من اتخاذ الموقف المناسب في التَّعامُلِ معهم، ومع ما يصدرُ عنهم، مستضيئين بهدي الثقلين، القرآن والعترة المعصومة عليهم السلام .

روى المُحَدِّث الفقيه ابن إدريس الحلِّي رحمه الله، بإسناده عن المحدِّث العارف

الجليل الحارث بن المغيرة، قال: لقيني أبو عبد الله عليه السلام في بعضِ طُرُق المدينة ليلاً، فقال لي: (يا حارثُ). قلت: نعم. قال: (أما لأحملَنَّ ذنوبَ سُفهائِكُم على عُلَمائِكم). ثمَّ مضى.

قال: ثمَّ أتيتُهُ، فاستأذنتُ عليه، فقلتُ: لِمَ قلتَ: (لأحملَنَّ ذنوبَ سُفهائِكُم على عُلَمائِكم)، فَقد دَخَلَني من ذلكَ أمرٌ عظيم؟!

قال: (نعم! ما يَمنَعُكُم ـ إذا بَلَغَكم عن الرَّجُلِ مِنكُم ما تكرهونَهُ، من ما يُدخِلُ علينا به الأذى والعيبَ عندَ النَّاس ـ أنْ تأتوهُ، فتؤنِّبوهُ، وتعظوهُ، وتقولوا له قولاً بليغاً)؟. فقلت له: جُعِلتُ فداك! إذاً لا يَقبَلُ مِنَّا ولا يُطيعُنا؟!

فقال: (فإذن اهجُرُوهُ عند ذلك، واجتَنِبوا مُجالَستَه)[٨].

ولا يخفى أنَّ الأمر بالهجران واجتناب مُجالَستِهم ومَجالِسِهم إنَّما هو وظيفةُ العلماء تجاه سفهائهم، وأمَّا وظيفتُهُم تجاه الناس- الذين قد يقعُ الضَّعيفُ منهم في شباك أولئك السفهاء ـ فهي إظهار العلم عند ظهور البِدَع، (فَمَنْ لَم يَفْعَل فَعلَيهِ لَعنَةُ الله) كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله[٩].

هويَّةُ البحث والداعي إليه :ـ

من المسائلِ المسلَّمَة عند كافَّة علماء الشِّيعة الإثني عشريَّة (أعزَّ الله كلمتهم)، مسألةُ اشتقاقِ أسماء الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام من أسماء الله تعالى.

ولم أعثُر على واحدٍ من علمائنا ناقش في ثبوت ذلك الاشتقاق، على الرغم من البحث الواسع الذي قُمنا به، واستقصينا جميع أطرافه، بحسب الطُّرُق المتاحة، من سؤال أهل الاختصاص، واستقراء المصادر الحديثية وغيرها، بما يتعيَّنُ معه الجزمُ بكون المسألة من المتسالَمِ عليه.

وسترى في فصول البحث الأدلَّةَ والبراهين على ما ذهبنا إليه، وَبَنَيْنا عليه، من رواياتٍ نرويها، وكلماتٍ عن أكابر علمائنا نحكيها، وتحقيقاتٍ نهذِّبُها ونشيِّدُ مبانيها.

غير أنَّ اسماً من هذه الأسماء الخمسة الشريفة يثير التَّساؤلَ ـ عند العوام والمبتدئين ـ حول كيفيَّة اشتقاقه، ووجه الارتباط بينه وبين ما اشتُقَّ منه، وهو اسم (فاطمة) المشتقُّ من اسم (فاطر).

فالنَّاس اعتادوا على الاشتقاق الصغير، وهو ما اشترك فيه المشتقُّ والمشتقُّ منه، في أصل المعنى مضافاً إلى الحروف الأصول، نحو: علم وعالم.

لكن في اشتقاق (فاطمة) من (فاطر) اختلف الأمر، فلا الاشتراك في أصل المعنى واضحٌ، ولا الاشتراكُ في الحروف الأصول متحقِّق، ممَّا يدعو إلى البحث عن حقيقة هذا الاشتقاق، الذي لا ريب في ثبوته، كما أسلفنا.

وقبل سبع سنين - تقريباً - جمعنا مجلسٌ من مجالس قم المقدسَّة بأحد الفضلاء، فجرى بيني وبينه حوارٌ حول حقيقة هذا الإشتقاق، كان الباعث لي على البحث والتحقيق في هذه المسألة، نشراً لفضيلةٍ من فضائل سيِّدة الفضائل فاطمة عليها السلام، وتشديداً لها في قلوب المؤمنين، وإرغاماً لأنوف أهل الشك والريبة، بعد أن كثَرَ الدُّخلاءُ على علوم العربيَّة والمواد المعرفيَّة، القائلون بغير علم، والمتقوِّلون على الله وأوليائه بغير الحق، والمتحيِّنونَ الفُرَصَ للنيل من عقيدة بسطاء المؤمنين، بُغيةَ إضلالهم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[١٠].

وقد قسَّمت البحث على فصول ثلاثة:

الفصل الأول: اشتقاق (فاطمة) من (فاطر) في الإرث الحديثي

الفصل الثاني: وجوه الاشتقاق المحتَمَلَةُ في المقام

الفصل الثالث: الاشتقاق الأكبر في الميزان اللُّغوي

والحمد لله أولًا وآخراً على نعمةِ الانقياد لمحمد وآل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

الفصل الأول

اشتقاق (فاطمة) من (فاطر) في الإرث الحديثي

لَّما كانَ محورُ البحثِ، وقطبُ رحاه اشتقاق اسم (فاطمة) من (فاطر)، ولا يحسنُ الخوض فيه قبل إثبات وقوعه، ولا طريق إلى إثبات وقوعه إلا من خلال تراجمة وحي الله آلِ محمَّد (صلوات الله عليهم)؛ كان لا بدَّ من الرجوع إلى الرِّوايات الشَّريفة الدالَّة على ذلك، ليُعلمَ أنَّ البحثَ ليس في ثبوت الاشتقاق ـ إذ هو أمرٌ مفروغٌ منه ـ وإنَّما في بيان كيفيَّته وفهمِ حقيقته.

وقد قمنا بالتقاط ما أمكننا من دُرَرِ الروايات التي تعرَّضت لذكر اشتقاق اسم (فاطمة) من (فاطر) ـ ولا ندِّعي الاستقصاء التَّام، فقد يكون ما خفي عنَّا أكثرَ ممَّا جمعناه ـ وأثبتنا أسانيدها على كثرتها، ليتضح تحقق التَّظافر الموجب لاطمئنان النفس بصدور المضمون عن الحجَّة المعصوم عليه السلام .

رواةُ أحاديث الاشتقاق :ـ

وروايات الاشتقاق التي عثرنا عليها من الكثرةِ بمكان، اخترنا منها اثنتي عشرَ روايةً، مأخوذةً من أمَّهات المصادر الرِّوائيَّة، وقد انتهت أسانيدُها إلى سبعة أشخاص، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم على التَّرتيب: ثلاثةٌ من المعصومين عليهم السلام، وأربعةٌ من الصَّحابة:

الأول: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهما) .

الثاني: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

الثالث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام .

الرابع: سلمان المحمَّدي (رضوان الله عليه) .

الخامس: عبد الله بن عباس .

السادس: أنس بن مالك .

السابع: أبو هريرة .

ومُعظمُ هذه الروايات وإنْ رُوِيَت في مصادرنا، إلا أنَّ جملةً من أسانيدِها عاميَّةٌ، فضلاً عن أنَّ لها شواهد كثيرةٌ في مصنَّفاتنا ومُصنَّفات المخالفين، كما سنُشيرُ إليه في نهاية هذا الفصل.

وها نحنُ نتبرَّكُ بِذكرِ الرِّوايات الشَّريفة مع أسانيدها ـ كما أشرنا ـ على حسب التَّرتيب الزَّمنيِّ للمصادر، مُبتدئينَ بالأقدمِ فما يليه.

علماً بأنَّ جميعَ هذه الروايات إنَّما نرويها بسند متَّصلٍ إلى مصادرها، وِفْق أسانيد كتاب [ثَبْت الأسانيد العوالي] لخاتمة الرِّجاليِّين سيِّدنا ومولانا العلامة المحقق، والرجاليِّ المدقِّق، السيد محمد رضا الحسيني الجلالي (رعاه الله وسدَّد خطاه)، بإجازةٍ خطيَّةٍ من يده الشَّريفة.

♦ الرِّوايةُ الأولى: كتاب التَّفسير، للإمام العسكري عليه السلام (٢٦٠هـ) .

بالإسناد عن الإمام العسكري عليه السلام، قال: (وقال علي بن الحسين عليه السلام): حدَّثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: يا عبادَ الله! إنَّ آدم لَمَّا رأى النُّورَ ساطعاً من صُلبِه، إذْ كانَ اللهُ قد نَقَل أشباحَنَا من ذِروة العَرْشِ إلى ظَهْرِه، رأى النُّورَ ولَمْ يتبيَّن الأشباحَ - إلى أن قال - فقال: يا ربِّ! ما هَذِهِ الأشباحُ؟

قال الله تعالى: يا آدمُ! هذه أشباحُ أفضلِ خلائقي وبريَّاتي، هذا محمَّدٌ، وأنا المحمودُ الحميدُ في أفعالي، شَقَقْتُ له اسماً من اسمي. وهذا عليٌّ، وأنا العليُّ العظيمُ، شَقَقتُ له اسماً من اسمي. وهذه فاطمةُ، وأنا فاطرُ السَّماواتِ والأرض، فاطمُ أعدائي عن رحمتي يوم فصلِ قضائي، وفاطمُ أوليائي عمَّا يَعْتَريهم ويُسيئُهُم، فَشَقَقتُ لها اسماً من اسمي...)[11].

♦ **الرِّوايةُ الثَّانية: شَرْحُ الأخبار، للقاضي النُّعمان (٣٦٣هـ) .**

بإسناده، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لَّما خلَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ آدمَ عليه السلام، ونَفَخ فيه من رُوْحه، نَظَرَ آدمُ عليه السلام يُمنَةَ العرش، فإذا من النُّورِ خمسةُ أشباحٍ على صُورَتِه، ركَّعاً سُجَّدا.

فقال: يا ربِّ هل خَلَقتَ أحداً منَ البَشَرِ قَبلي؟

قال: لا. قال: فَمَن هؤلاءِ الَّذين أراهُم على هَيئَتي وعلى صورتي؟

قال: هؤلاءِ خمسةٌ من وُلدِكَ، لولاهم ما خَلَقْتُكَ، ولا خلقتُ الجنَّةَ ولا النَّار، ولا العرشَ ولا الكرسيَّ، ولا السَّماءَ ولا الأرضَ، ولا الملائكةَ ولا الإنسَ ولا الجنَّ.

هؤلاءِ خمسةٌ، اشتَقَقتُ لهم أسماءً من أسمائي.

فأنا المحمودُ وهذا مُحمَّدٌ، وأنا الأعلى وهذا عليٌّ، وأنا الفاطرُ وهَذِهِ فاطمةُ، وأنا الإحسانُ وهذا الحسنُ، وأنا المُحسنُ وهذا الحُسينُ.

آليتُ بِعزَّتي! أنْ لا يأتيَني أحدٌ بِمثقالِ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ - مِن حُبِّ أحدٍ منهم - إلا أدخلتُهُ جنَّتي.

وآليتُ بِعزَّتي! أنْ لا يأتِيَني أحدٌ بِمثقالِ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ مِن بُغضِ أحدٍ منهم إلا أدخَلْتُهُ ناري، ولا أبالي.

يا آدمُ! وهؤلاءِ صَفْوَتي مِن خلقي، بِهِم أُنجي، وَبِهِم أُهلِكُ)[١٢].

♦ **الرِّوايةُ الثَّالثة: أيضاً، شَرحُ الأخبار .**

قال القاضي: صفوان الجمَّال، قال: دخلتُ على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، وهو يقرأُ هذه الآية: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، ثمَّ التفتَ إليَّ، فقال: يا صفوان!.. ـ إلى أن قال عليه السلام : ـ فَلمَّا أنْ وَقعَ آدمُ في الخطيَّة، قال: يا ربِّ! بحقِّ هؤلاءِ الأشباحِ اغفرْ لي؟

فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: إنَّك توسَّلتَ إليَّ بِصَفْوَتي، وقد غَفَرتُ لكَ.

قال آدمُ: يا ربِّ! بالمغفرةِ الَّتي غفرتَ إلَّا أخبرتني مَنْ هُم؟

فأوحى اللهُ إليه: يا آدمُ! هؤلاءِ خمسةٌ مِن وُلدِكَ، لِعَظيم حَقِّهم عندي اشتَقَقْتُ لهم خمسةَ أسماء من أسمائي، فأنا المحمودُ وهذا مُحمَّدٌ، وأنا العليُّ وهذا عليٌّ، وأنا الفاطرُ وهذِه فاطمةُ، وأنا المُحسنُ وهذا الحسنُ، وأنا الإحسانُ وهذا الحسينُ)[١٣].

♦ **الرِّوايةُ الرَّابعة: معاني الأخبار، للشَّيخ الصَّدوق رحمه الله (٣٨١هـ) .**

بإسناده، عن طاووس، عن بن عبَّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليِّ بن أبي طالب عليه السلام : (لَمَّا خَلَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذِكْرُهُ آدمَ، ونَفَخ فيه من رُوحه، وأسجدَ له ملائكتَه، وأسكَنَه جنَّتَه، وزوَّجَهُ حَوَّاءَ أمَتَه، فَرَفَع طرْفَهُ نحو العرش، فإذا هو بِخَمسةِ سُطورٍ مكتوباتٍ، قال آدمُ: يا ربِّ! ما هؤلاءِ؟

قال تعالى: هؤلاءِ الَّذين إذا تَشَفَّعَ بهم إليَّ خَلْقي شفَّعْتُهم.

فقال آدمُ: يا ربِّ! بِقَدرِهِم عندكَ، ما اسمُهُم؟

فقال: أمَّا الأوَّلُ فأنا المحمود وهو محمَّدٌ، والثَّاني فأنا العالي وهو عليٌّ،

والثالثُ فأنا الفاطرُ وهي فاطمةُ، والرَّابعُ فأنا المحسِنُ وهو الحسَنُ، والخامِسُ فأنا ذو الإحسانِ وهو الحسَينُ، كلٌّ يحَمَدُ اللهَ تعالى)[١٤].

♦ **الرواية الخامسة: أيضاً، معاني الأخبار .**

بإسناده، عن عبدِ اللهِ بنِ الفضلِ الهاشميِّ، عن جعفرَ بنِ محمَّدٍ، عن أبيه، عن جَدِّه عليهم السلام، قال: >كانَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ جالساً، وعندَهُ عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ عليهم السلام، فقال: والَّذي بَعَثَني بالحقِّ بشيراً، ما على وَجْهِ الأرضِ خَلْقٌ أحبَّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ولا أكرمَ عليه منَّا.

إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى شَقَّ لي اسماً من أسمائِه، فهو محمودٌ وأنا محمَّدٌ، وشَقَّ لكَ يا عليُّ اسماً من أسمائه، فهو العليُّ الأعلى وأنت عليٌّ، وشَقَّ لكَ يا حسَنُ اسماً من أسمائِه، فهو المُحسنُ وأنتَ حسَنٌ، وشَقَّ لكَ يا حسينُ اسماً من أسمائِه، فهو ذُو الإحسانِ وأنتَ حسينٌ، وشَقَّ لكِ يا فاطِمَةُ اسماً من أسمائِه، فهو الفاطرُ وأنت فاطمة...)[١٥].

♦ **الرِّوايةُ السَّادِسة: مُقتَضَبُ الأثَر، لأحمد بن عياش الجوهري (٤٠١هـ)**

بإسناده، عن الأعمشُ، عن محمَّدِ بنِ خَلَفٍ الطَّاطَري، عن زَاذانَ، عن سَلمان، قال: دَخَلتُ على رسول الله ﷺ يوماً، فلمَّا نَظَر إليَّ قال: (...يا سَلمانُ! خَلَقَني اللهُ من صَفْوَةِ نُورِه، ودَعاني فأطعْتُهُ، وخَلَق من نُوري نُورَ عليٍّ عليه السلام، فَدَعَاهُ إلى طاعتِه فأطاعَهُ، وخَلَقَ من نُوري ونُورِ عليٍّ فاطمةَ، فَدَعاها فأطاعتْهُ، وخَلَق منِّي ومن عليٍّ وفاطمةَ الحسنَ والحسينَ، فَدَعَاهُما فأطاعاهُ، فَسَمَّانا اللهُ عزَّ وجلَّ بِخَمسةِ أسماءٍ من أسمائِه.

فاللهُ محمودٌ وأنا محمَّدٌ، واللهُ العليُّ وهذا عليٌّ، واللهُ فاطرٌ وهذه فاطمةُ...)[١٦]، الحديث.

♦ **الرِّوايةُ السَّابعة: دَلائلُ الإمامة، لابن جرير الطبري الشِّيعي (ق٤هـ)**

بإسناده، عن سليمانَ الأعمشَ، عن محمَّد بن خلفٍ الطَّاطري، عن زاذانَ، عن سلمانَ ﷺ، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: (إنَّ الله تباركَ وتعالى لم يَبْعَثْ نبيّاً ولا رَسُولاً إلا جَعَلَ لهُ اثني عَشَرَ نقيباً...)[١٧]، وساق الحديث كما في مُقتَضَب الأثر.

تنبيه: إنَّما نقلنا روايةَ دلائل الإمامة ـ مع كونِها متَّحدَةً مع روايةِ المقتَضَب متناً ـ لاختلافِهما في الإسنادِ إلى الأعمش، من جهة، ولِكونِ الأعمش ومَن بعدَهُ لا ضَعْفَ فيهم، من جهةٍ أُخرى.

ومِثلُ هَذينِ الإسنادينِ يَعضُدُ أحدُهُما الآخرَ كما لا يخفى.

♦ **الرِّوايةُ الثَّامنة: تَنبيهُ الغافلين، لِلمُحسن بنِ كرامة (٤٩٤هـ)**

قال: روى السَّيِّدُ الإمامُ أبو طالب يحيى بنُ الحسين (أجزَلَ اللهُ ثوابَهُ)، بإسنادِهِ عن جُوَيبر، عن الضَّحاك، عن بن عبَّاس، قال: (لَّما أمَرَ اللهُ تعالى آدمَ بالخروجِ من الجَنَّة، رَفَعَ طَرْفَهُ نحوَ السَّماء، فَرأى خمسةَ أشباحٍ عن يمينِ العَرْش، فقال: إلهي! هل خَلَقْتَ خَلْقاً قبلي؟

فأوحى اللهُ تعالى إليه: أمَا تَنْظُرُ إلى هذه الأشباح؟ قال: بلى.

قال تعالى: هؤلاءِ الصَّفوةُ مِن نُوري، اشْتَقَقْتُ أسماءَهُم مِن اسمي، فأنا اللهُ المحمودُ وهذا محمَّدٌ، وأنا العليُّ وهذا عليٌّ، وأنا الفاطرُ وهذه فاطمةُ، وأنا المحسِنُ وهذا الحسَنُ، ولِيَ الأسماءُ الحسنى وهذا الحسينُ.

فقال آدمُ: فَبِحَقِّهم اغفرْ لي!

فأوحى اللهُ تعالى إليه: قَدْ غَفَرْتُ لكَ)[١٨].

♦ **الرِّواية التاسعة: الدُّرُّ النَّظيم، لابن حاتم العاملي (٦٦٤هـ)**

قال: حدَّثَ أبان[١٩]، عن أَنَس، أنَّهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ : (لَمَّا خَلَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ آدمَ عليه السلام، نَظَرَ إلى سُرَادقِ العرش، فَرَأى عليهِ مكتوباً: لا إلهَ إلَّا اللهُ، مُحمدٌ رسولُ الله، وأسماءً أربعة... - إلى أن قال ﷺ :- قال: يا آدمُ! هؤلاءِ الخمسَةُ، شَقَقْتُ لهم خمسةَ أسماءٍ من أسمائي العِظَام، فأنا المحمودُ وهذا أحمدُ، وأنا العالي وهذا عليٌّ، وأنا الفاطرُ وهذه فاطمةُ، وأنا المحسنُ وهذا الحَسَنُ، وأنا الإحسانُ وهذا الحُسَيْنُ)[٢٠].

♦ **الرواية العاشرة: تأويلُ الآيات، للسَّيِّد شَرَف الدِّين الحُسيني (ق١٠هـ)**

بإسناده، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ : (ليلةَ أُسري بي إلى السماء، صرت إلى سدرة المنتهى، فقال لي جبرئيل: تقدَّم يا محمد! فدنوت دنوةً - والدَّنوةُ: مدُّ البصر -، فرأيت نوراً ساطعاً، فخررت لله ساجداً.

فقال لي: يا محمد! مَن خَلَّفت في الأرض؟

قلت: يا ربِّ! أعدلَها وأصدقَها وأبرَّها وأسنَمَها، عليَّ بن أبي طالب، وصيي، ووارثي، وخليفتي في أهلي. فقال لي: أقرئه منِّي السَّلام، وقل له: إنَّ غَضَبَه عِزٌّ، ورضاهُ حُكْم.

يا محمد! إنِّي أنا الله لا إله إلا أنا العلي الأعلى، وهبتُ لأخيك اسماً من أسمائي، فسمَّيتُهُ علياً، وأنا العلي الأعلى.

يا محمد! إني أنا الله لا إله إلا أنا فاطر السماوات والأرض، وهبتُ لابنتك اسماً من أسمائي، فسمَّيتها فاطمة، وأنا فاطر كل شيء...)[٢١]، الحديث.

♦ **الرواية الحادية عشرة: الخصائصُ العَلَويَّة، لأبي الفتح النَّطَنزي (٥٥٠هـ)**

بإسناده عن أبي عثمان الرَّازي، عن سلمان الفارسي، قال: سمعتُ رسولَ الله (صلَّى اللهُ عَلَيْه [وآله] وسَلَّمَ) يقول: (خُلِقْتُ أنا وعليٌّ بنُ أبي طالبٍ مِنْ نُورٍ عن يَمينِ العَرْش، نُسَبِّحُ اللهَ، ونُقَدِّسُهُ مِن قَبْلِ أن يَخْلُقَ اللهُ عزَّ وجلَّ آدمَ بأربعةَ عَشَرَ آلاف سَنَة...، واشتَقَّ الله لنا من أسمائه اسماً، فاللهُ محمودٌ وأنا محمَّدٌ، واللهُ الأعلى وأخي عليٌّ، واللهُ فاطرٌ وابنتي فاطمةُ...)[٢٢]، الحديث.

♦ **الرواية الثانية عشرة: الدُّرِّ الثَّمين، لابنِ الجَوزيِّ (٥٩٧هـ) .**

قال في بحار الأنوار: وروى صاحب الدُّرِّ الثَّمين[٢٣]، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ أنَّه [آدمُ عليه السلام] رأى ساقَ العرش، وأسماءَ النَّبيِّ والأئمة عليهم السلام، فلَقَّنَهُ جبرئيلُ قل: (يا حَميدُ بحَقِّ محمَّدٍ، يا عالي بحَقِّ عليٍّ، يا فَاطِرُ بحَقِّ فاطِمَةَ، يا مُحسِنُ بحَقِّ الحسنِ والحسينِ، ومنكَ الإحسانُ...)[٢٤]، الحديث.

أقول: هذه الرواية ـ وإن لم تتعرض لذكر الاشتقاق ـ إلا أنَّها شاهدٌ صريحٌ واضحٌ عليه، كما لا يخفى على من لديه معرفةٌ بالحديث وعِلْمِه. هذا.

حَصيلَةُ الفصل الأوَّل :ـ

بعد أن نَقَلنا هذه الباقةَ العطِرةَ من رياض العترة الطاهرة عليهم السلام، وأثبتنا أسانيدَها، بات ثبوتُ اشتقاقِ اسمِ (فاطمةَ) من (فاطر) واضِحاً جليَّاً، فَتَظَافُرُ الطُّرُق، وأهميَّةُ مصادرِها، ورِوايَةُ المؤالفِ والمخالفِ لها، لا يَتركُ للشكِّ ـ فضلاً عن الإنكار ـ باباً إلا سَدَّهُ، ولا طريقاً إلا قطَعَهُ، و (قدْ أضاءَ الصُّبحُ لِذي عَينين)[٢٥].

الفصل الثاني

وجوه الاشتقاق المحتملة في المقام

قبل أن تصلَ النُّوبَةُ إلى البحث عن اشتقاق اصطلاحيٍّ يُصَحِّحُ اشتقاقَ مثل (فطم) من (فطر)، لا بد من وقفة تدبُّريَّةً في استنطاق المتون الروائيَّة الشريفة التي نصَّت على هذا الاشتقاق.

حيثُ إنَّ سؤالاً يطرحُ نفسه، لا بدَّ منه ومن الجواب عنه، وهو: ما المرادُ من قول الله تعالى: (اشتقَقْتُ) في أحاديث الاشتقاق؟

والأجوبة المحتملةُ على هذا السؤال اثنان لا ثالث لهما:

الأول: أن يكون المراد هو الاشتقاق اللُّغَوي

الثاني: أنْ يكونَ المرادُ هو الاشتقاق الاصطلاحي، وهذا يتصوَّرُ على نحوين:

أ ـ بناءً على أنَّ الله تعالى هو الواضع للغة

ب ـ بناءً على أنَّه أحد المستعملين لها دون الوضع

وتفصيلُ الكلام حسبما يقتضيه المقام:

الاحتمال الأول: الاشتقاق بمعناه اللُّغَوي :ـ

لَمَّا كان لفظُ الاشتقاق يحمل معنىً في أصل اللغة يغايرُ معناه الاصطلاحي، من جهة العموم والخصوص، حيثُ إنَّ كلَّ اشتقاقٍ اصطلاحيٍ هو اشتقاقٌ لُغَويٌّ، وليس العكس، احتُمِل كونُ المراد من الاشتقاق في كلام الوحي الاشتقاقَ لغةً لا اصطلاحاً.

والاشتِقاقُ لُغةً هو: مطلقُ الأخذِ من الشَّيء[٢٦].

ويقرِّبُ هذا الاحتمالَ ـ إنْ لم يعيِّنْهُ ـ قرائنُ أربع:

الأولى: نسبةُ الاشتقاق إليه تعالى، حيث قال: (اشتقَقتُ)، وهو ظاهرٌ في المعنى اللُغوي دون الاصطلاحي.

الثانية: اشتقاق خصوص الاسم من الاسم لا من مادَّته، والاشتقاق الاصطلاحي يقتضي اشتقاق اسم (فاطمة) من مصدره (فطم)، ثمَّ اشتقاق (فطم) من (فطر).

فيكون اشتقاق اسم (فاطمة) من اسم (فاطر) قرينةً ظاهرةً في أنَّ المراد هو الاشتقاق اللغَويِّ دون الاصطلاحي.

الثالثة: قوله جلَّ وعلا: (من اسمي)، ولم يقُل: من اسم فاطر! ممَّا يعني أنَّ الاشتقاق من خصوص اسم الله تعالى، وليس من مطلق اسم (فاطر)، وهذا بابٌ من أبواب المعرفة، فتنبَّه.

الرابعة: إخباره تعالى آدمَ عليه السلام بهذا الاشتقاق ـ يوم خلقِهِ ـ كان قبل وجود العرب فضلاً عن اصطلاحاتهم اللُّغَوية.

ونحنُ نُرجِّحُ هذا الاحتمال، بل هو الظَّاهرُ دون غيره، لشديد تناسبِهِ مع القرائن المقاميَّة لاشتقاق اسم (فاطمة) من اسم الله (فاطر).

حيثُ إنَّ المقامَ مقامُ بيان عَظَمَة هؤلاء الخمسة عليهم السلام، وتوقُّفِ الغايةِ من خَلْق الخلق على وجودهم، واشتقاق أنوارهم من نور الله تعالى، ومقابلة اشتقاق أنوارهم من نوره تعالى باشتقاق أسمائهم من أسمائه سبحانه، إلى غيرها من القرائن.

فالمناسبُ لهذا المقام هو أن تكون أسماؤهم عليهم السلام مأخوذةً من خصوص أسماء الله تعالى الدَّالّة عليه، مشتقَّةً منها، دون الاشتقاق من مطلق مادة

الاسم، كما لا يخفى.

الاحتمال الثاني: الاشتقاق بالمعنى الاصطلاحي

ربَّ قائلٍ يقول: قد يكونُ اللهُ تعالى استعمل الاشتقاق ـ في روايات اشتقاق اسم (فاطمة) من (فاطر) ـ بمعناه الاصطلاحي، إمَّا من حيثُ كونه هو الواضعُ للُّغَة، وإمَّا من حيث كونُهُ استعملَ اللُّغةَ التي ستكونُ لاحقاً، وإن لم يكن هو واضعها.

فتكونُ مادة (فطم) مشتقَّةً من مادة (فطر)، ممَّا يستدعي إبرازَ الوجه الموافق لما هو معروف من المعنى الاصطلاحي للاشتقاق عند علماء العربيَّة!

وجهُ الاشتقاق بناءً على المعنى الاصطلاحي :ـ

ونحن لو غضَضنا الطَّرفَ عمَّا ذكرناه من قرائن دلَّت على إرادة الاشتقاق بمعناه اللُّغَوي، فالجوابُ عن هذا الاحتمال أسهلُ ما يكون، وأبسطُ ممَّا يُتَصوَّرُ في بادئ الحال.

الاشتقاقُ الاصطلاحي بما أنَّ اللّه واضع اللغة :ـ

إذ بناءً على أنَّ اللهَ تعالى هو الواضعُ للغة العربية[٢٧]، وأنَّ المراد هو الاشتقاق الاصطلاحي ـ فعلماءُ العربيَّة هم من يحتاجُ لإبراز الوجه الجامع بين ما اصطلحوا عليه من الاشتقاق وما ورد في روايات اشتقاق اسم (فاطمة) من (فاطر).

لأنَّهم تبعٌ للُّغَةِ لا متبوعون، ومن ظاهرها استفادوا قواعدهم، فإذا بان الاختلافُ بين ما قعَّدوه وما استعمله الواضع، كان استعمالُهُ حاكماً على قاعدتهم بلا أدنى ارتياب.

وبناءً على ذلك تكونُ رواياتُ اشتقاق اسم (فاطمة) من اسم (فاطر)

كاشفةً كشفاً إنيّاً عن نحو آخر من الاشتقاق، يوافق الاشتقاق المعروف بين أهل اللغة في الاشتراك من حيث المعنى، ويخالفُهُ في اشتراط اتحاد أصول المشتقِّ والمشتقِّ منه، سواءٌ ثبتَ الاشتقاقُ الأكبر ـ كما سيأتي ـ أم لم يثبت.

الاشتقاقُ الاصطلاحي إنْ لم يكن اللّه هو الواضع :ـ

والنتيجة نفسها فيما لو لم نقُلْ بأنَّ الله هو الواضع للغة، بل كان أحد المستعملين لها على الوجهِ الذي ستُوضَعُ عليه لاحقاً.

ووجهُهُ الذي لا يكادُ يخفى: أنَّ اللُغة العربيةَ سُماعيَّةٌ، وقواعدَها مستفادةٌ من السُّماع، فإذا جازَ أن يكونَ كلامُ قبيلةِ حِمْيَر أو تميم أو طي أو غيرها كاشفاً عن صحة استعمال اللفظ في معناه الذي استعملوه فيه، ومصدراً لاستفادة قواعد اللغة منه؛ أفلا يكون كلامُ الوحي ـ والفرضُ أنه استعمل الاشتقاق بمعناه الاصطلاحي ـ كاشفاً عن مثل ذلك، بل يكون أصدقَ الكواشف وأصحَّها على نحو القطع واليقين.

تذييل :ـ

وعلى هذين الاحتمالين تُحمَلُ جملةٌ من الرِّوايات، وهي التي تضمَّنت اشتقاق كلمة من أخرى، لم تتَّفِقا في جميع الأصول، وإن اشتركتا في المعنى، ومن تلك الرِّوايات:

أ ـ اشتقاق (الشيعة) من (الشعاع)

قال الحافظُ البُرسي رحمه الله : عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام ـ من كتاب الواحدة ـ قال: (إن الله سبحانه تفرَّد في وحدانيَّته، ثمَّ تكلَّم بكلمة فصارت نوراً، ثمَّ خلق من ذلك النُّور محمَّداً وعليّاً وعترته، ثمَّ تكلَّم بكلمة فصارت روحاً، وأسكنها ذلك النُّورَ وأسكنه في أبداننا، فنحنُ روحُ الله في ذلك، وكلمتُهُ، احتجب بِنا عن خلقه.

فما زلنا في ظلَّة خضراء مسبِّحين، نسبِّحُهُ ونقدِّسُهُ حيث لا شمسَ ولا قمرَ، ولا عين تطرف، ثمَّ خلق شيعتنا، وإنَّما سُمُّوا شيعةً لأنَّهم خُلِقوا من شعاع نورنا)[٢٨].

ب ـ اشتقاق الروح من الريح

روى المحدِّثُ الجليلُ الشيخُ الكليني ﷺ بإسناده، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، كيف هذا النَّفخُ؟

فقال: (إنَّ الرُّوحَ متحرِّكٌ كالرِّيح، وإنَّما سُمِّي روحاً لأنَّه اشتُقَّ اسمُهُ من الرِّيح.. الحديث)[٢٩].

ج ـ اشتقاق المروة من المرأة

فلقد روى ثِقةُ الإسلام الكليني ﷺ بإسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا أصابَ آدمُ وزوجتُهُ الحنطةَ، أخرجهما من الجنَّة، وأهبطهما إلى الأرض، فأُهبِطَ آدمُ على الصَّفا، وأُهبِطَت حواءُ على المروة.

وإنَّما سمِّيَ صفا لأنَّه شُقَّ له من اسم آدم المصطفى، وذلك لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ اصطفى آدمَ ونوحاً﴾، وسُمِّيت المروةُ مروة، لأنَّه شُقَّ لها من اسمِ المرأة... الحديث)[٣٠].

ونحوها من أحاديث الاشتقاق المماثلة.

الفصل الثالث

الاشتقاق الأكبر في الميزان اللُّغوي

قد يرى القارئ الكريمُ عدم الحاجة إلى عقد هذا الفصل من البحث، حيثُ إنَّ المطلب اكتمل والمعنى انتظم ـ بما أسلفناه في الفَصلَين السَّابقين ـ سواءٌ

ثبت الاشتقاق الأكبر أم لم يثبت.

وما يراه نحن أيضاً نراه، لكنَّ شبهةً قد تعرضُ في أذهان بعض البسطاء، لابدَّ من عرضها وردِّها.

تقريرُ الشُبهة :ـ

إنْ كان الأمرُ كما قدَّمتم وأسلفتُم، فلماذا لم نسمع من علماء اللُّغة باشتقاقٍ من هذا النَّوع، إذ الاشتقاقُ المعروفُ عندهم هو ما اتحدت فيه أصول المشتق والمشتقِّ منه، مع اشتراكهما في المعنى.

أمَّا اشتقاق مثل (فطم) من (فطر)، فهذا ما لم نسمع به من قبل؛ ولا يصحُّ الادعاءُ بأنَّه لم يلتفت إليه أحدٌ من قَبْل، فَجُملةٌ من علماء اللغة هم من علماء الإسلام، ولا شكَّ في اطِّلاعهم على مثل هذه الرِّوايات؟!!

جوابُ الشُبهة :ـ

إنَّ نفيَ العاقل لمسألة من المسائل أو إثباتَها لا يمكن أن يكون اعتباطيَّاً، أو استحسانيَّاً ذوقيَّاً محضاً، بل لا بدَّ من ابتنائِه على الدليل والقرائن المفيدة للإطمئنان.

ومن المعيب عند العقلاء أن يُتمسَّك ـ للنفي ـ بعدم الدليل على الإثبات، إذ غايةُ ما يُثبِتُه عدمُ العثور على الدليل هو جعل المسألةِ في صقع الإمكان، تحتمل الثبوت كما تحتمل النَّفي، وفي مثلِه قال الشيخُ الرئيس: (فذره في بقعة الامكان، ما لم يذدك عنه قائمُ البرهان)[٣١].

وقال المحقِّقُ الحلِّي ﷺ : (قد ثبتَ في العقلِ أنَّ عدم الوجدان لا يدلُّ على عدم الوجود)[٣٢].

فلا يليقُ بالعاقل - فضلاً عن طالب العلم - أن يبادرَ إلى نفي مسألةٍ من

مسائل العلوم، وهو يقصُرُ عن فهم جوهر المسألة، فضلاً عن فهم ما يُستدلُ به لها أو عليها، فضلاً عن قيامه بقصد مظانِّ أدلَّة المسألة ولو على النحو الجزئي.

فليست الجرائدُ اليوميَّة، ولا المجلَّاتُ المعاصرة من مظانِّ البحث عن الاشتقاق، لتخوِّلَ القارئ لها أن ينفيَ الاشتقاق الأكبر حيث لم تتعرض لذكره!!

الاشتقاق: صغيرٌ وكبيرٌ وأكبر :ـ

يسهُلُ على الباحث ـ الخبير بمظانِّ بحثه ـ أن يُلِمَّ بأنواع الاشتقاق المنصوص عليها من قِبَلِ أكابرِ علماء العربيَّة، بدءاً بالاشتقاق الصَّغير، فالكبير، فالأكبر، وها نحنُ نقدِّمُ خلاصةَ بَحْثِنا في هذا الباب، من دون تطويلٍ ولا إطناب.

♦ الاشتقاق الصَّغير .

وهو ما في أيدي الناس وكتبهم، كأنْ تأخذَ أصلاً من الأصول، فتجمعَ بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه.

وذلك كتركيب (س ل م) فإنَّك تأخذ منه معنى السلامة في تصرُّفِه، نحو: سَلِمَ، ويَسْلَمُ، وسالِمٌ، وسلمان، وسلمى، والسَّلامة.

وعلى ذلك بقيّة الباب، وبقيّة الأصول غيره، كتركيب (ض ر ب) و(ج ل س) و(ز ب ل) على ما في أيدى الناس من ذلك. ويُسمَّى أيضاً الاشتقاق الأصغر(٣٣).

♦ الاشتقاق الكبير .

لا يكادُ يُذكرُ الاشتقاقُ الكبيرُ إلا وتنصرفُ الأذهانُ إلى عَلَمٍ من أعلام القرن الرابع الهجري، صرحٍ من صروح اللغويِّين، إمامٍ من أئمَّتهم، خريِّتِ الصناعة، والمرجعِ فيها، أبي الفتح ابنِ جنِّي ﷺ.

فهو أوَّلُ من أرشدَ إليَّه، ونبَّه الآخرين عليه، فهذَّب معانيه، وشيَّد مبانيه، بعد أن كان أستاذهُ أبو علي الفارسي ﵀ قد سبقه إلى التنبُّهِ له.

قال في الخصائص: (وأمّا الاشتقاق الأكبر[٣٤]: فهو أن تأخذَ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمعُ التراكيب الستة وما يتصرَّف من كل واحد منها عليه، وإنْ تباعدَ شيءٌ من ذلك عنه رُدَّ بلطفِ الصنعةِ والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد.

[إلى أن قال]: فمن ذلك تقليب (ج ب ر)، فهي ـ أين وقعت ـ للقوّة والشدّة.

منها: (جبرت العظم والفقير)، إذا قوّيتهما وشددْت منهما، والجَبْر: الملِك لقوّته وتقويته لغيره.

ومنها: (رجلٌ مُجرَّب)، إذا جَرَستْه الأمور، ونجذَته، فقويت مُنَّته، واشتدَّت شكيمته. ومنه: الجِرَاب، لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حُفظ الشيء وروعي اشتدّ وقوي، وإذا أُغفل وأُهمل تساقط ورَذِيَ.

ومنها: (الأبجر والبُجْرة)، وهو القوي السُرَّة؛ ومنه: قول عليٍّ (صلوات الله عليه)[٣٥]: (إلى الله أشكو عُجَرِى وبُجَرِى)، تأويله: همومي وأحزاني...)[٣٦].

أقول: ومن شواهد الاشتقاق الكبير في الروايات الشريفة، ما رواها الشيخُ الكليني ﵀ بإسناده، عن أبي عبد الله ﷺ، قال:

(.. ولم يكن لآدمَ أُنسٌ غيرُها، ولذلك سُمِّينَ النِّساء، من أجلِ أنّ حوّاء كانت أنساً لآدم..)[٣٧].

♦ **الاشتقاق الأكبر .**

وهو: **(أن يَشْترك المشتقُّ والمشتقّ منه في أكثر الحروف الأصول، ويَتَناسبا في**

الباقي، مع الاتِّحاد أو التّناسبِ في المعنى، كأَلَهَ ووَلَهَ، وكالفَلَق والفَلَج)[٣٨].

وها نحن نذكر جملةً منْ نصوص أصحاب الفنِّ، وأهل الخبرة، والتي نصَّت على الإشتقاق الأكبر، أو طبَّقته في بعض الموارد، وهي بحسب الترتيب الزَّمني:

عبد اللّه بن قدامة (٦٣٠هـ)

قال في كتابه المعروف [المغني ج٥ ص٨٣] في باب الضمان: (ويفارق الضَّمانُ الحِوالةَ، فإنَّ الضَّمان مشتقٌّ من الضَّم)[٣٩].

ولا يخفى عليك أنَّ (نون) الضَّمان أصليَّةٌ فيه، ممَّا يعني أنَّ المشتقَّ (الضَّمان) فارَقَ المشتَقَّ منه (الضَّم) في ثالث أصوله، فثالثها في (الضمان) النون، وفي (الضمِّ) الميم، وهذا لا يصحُّ إلا على القول بالاشتقاق الأكبر، وهو ما عناه ابن قدامة.

شمس الدين الزركشي (٧٧٢هـ) :ـ

قال في كتابه [شرح المختصر الخرقي ج٢ ص١٤٠] ـ في جوابه على من استشكل في اشتقاق الضمان من الضم ـ: (وَيُجابُ بأنَّه من الإشتقاق الأكبر، وهو المشاركةُ في أكثر الأصول، مع ملاحظةِ المعنى).

الشَّريف الجرجاني (٨١٢هـ) :ـ

قال في [الحاشية على الكشاف ص٤٦] - شارحاً للاشتقاقين الكبير والأكبر - : (أما الكبير: فبأن يشترِكا في الحروفِ الأصول، من غير ترتيبٍ، مع اتِّحادٍ في المعنى، أو تناسبٍ فيه، كالجذب والجبذ، وكالحمد والمدح.

وأما الأكبر: فبأن يَشْتركا في أكثر تلك الحروف فقط، ويَتَناسبا في الباقي، مع الاتِّحاد أو التَّناسبِ في المعنى، كأَلَهَ ووَلَهَ، وكالفَلَق والفَلَج).

ومن وقف على هذا التَّصريح الصَّريح، علِمَ أن الاشتقاق الأكبر من المسلَّمات عندهم، حيثُ شرحه مُرسِلاً إيَّاه إرسال المسلَّمات، ولم يُشِر إلى ما يمكن أن يُشمَّ منه الخلاف في ذلك.

ويؤكِّدُ تسالُمَهم عليه أيضاً، قوله ص١٣٣: (قوله [أي قول الزمخشري عن أنفق وأنفذ]: أخوان؛ أي: بينهما الاشتقاق الأكبر، لاشتراكهما في أصل المعنى، وأكثر الحروف الأصول، مع التَّوافق في الباقي).

فنسَبَ إلى الزَّمخشري إرادة الاشتقاق الأكبر من استعماله لفظ (أخوان)، على نحو الجزم، لا الاحتمال؛ والزَّمخشري عَلَمٌ من أعلام اللُّغة، ومرجعٌ من مراجعها.

العَينيّ (٨٥٥هـ) :ـ

قال في [عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج١ ص٣١٧]: (وقال الزمخشري: انفق الشيء وأنفده، أخوان، وعن يعقوب: نفق الشيء ونفد، واحد، وكلُّ ما جاء ممَّا فاؤه نونٌ، وعينُهُ فاءٌ، فدالٌّ على معنى الخروج والذِّهاب، ونحو ذلك، إذا تأملت.

قلت: معنى قولِه: أخوان، بينهما الاشتقاق الأكبر، فإنَّ بينهما تناسباً في التَّركيب، وفي المعنى، لاشتمال كلٍّ منهما على معنى الخروج والذِّهاب).

والكلام فيه نفس الكلام في ما نقلناه عن الشَّريف الجرجاني قبل قليل؛ ونكتفي بمن ذكرناهم وما نقلناه من تصريحاتهم، إذ فيه الكفاية، بعد تحقُّق الغاية، وهي تأكيدُ ما بيَّناه فيما أسلفناه.

الاشتقاق الأكبر واشتقاق اسم (فاطمة) من (فاطر) :ـ

أما وقد ظهر الحقُّ وأسفرَ عن الاشتقاق الأكبر، بالبيان الذي بيَّناه،

والبرهان الذي سُقناه،، فلم يبقَ ـ بعد ثبوت إمكانه وتحقُّقِ وقوعه ـ إلا بيانُ كيفية انطباقه على اشتقاق اسم (فاطمة) من (فاطر).

وبما أنَّ الاشتقاق الأكبر هو: (اشتقاقُ لفظ من آخر، يشتركان في معظم الأصول، ويتَّحِدان في المعنى، أو يتناسبان فيه)، كان لا بدَّ من إثبات أمرين:

الأول: مشاركة اسم (فاطر) لاسم (فاطمة) في معظم الأصول، وهو كذلك، حيث اشتركا في أصلين وافترقا في واحد، إذ هاء التأنيث ليست أصلاً كما لا يخفى على المحصِّلين!!

والثاني: اتحاد المعنى فيهما، وهو ما يحتاج لشيءٍ من البيان، فنقول:

إنَّ الوقوف على اتحاد المعنى بين ألفاظ الاشتقاق الصغير لا صعوبة فيه ولا مشقَّة، لاتِّحاد أصوله وترتيبها، فمن عرف معنى واحدٍ منها عرفَ معنى الجميع، وهذا واضحٌ.

صعوبةُ معرفةِ المعنى المشترك في المقام :ـ

لكن الصُّعوبة تكمن في الاشتقاقين الكبير والأكبر، حيث إنَّ الوصول إلى المعنى المشتركِ بين لفظيهما لا يكاد يوفَّقُ له إلا ذو الخبرة، ممَّا يدلُّ على أنَّ العجزَ البَدْوي عن إيجاد معنى جامعٍ بين اللفظين في الاشتقاق الكبير أو الأكبر، لا يعني عدم صحَّة الاشتقاق، فالأمر ليس من السهولة بمكان.

وخفاء هذا المعنى على المتطفِّلين والمصطادين في الماء العكِرِ، هو أحد العوامل التي قد تدفعُهُم إلى إنكار صحَّة الإشتقاق، ليطعنوا برواياته، إطفاءً لنور الله، ويأبى الله!!

اتحادُ المعنى بين (فاطر) و(فاطمة) :ـ

اتَّفقت مصادر اللغة على أنَّ الفَطْر: هو الشَّقُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ

﴿فَطَرَتۡ﴾، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي ﷺ : (وانفطر الثَّوبُ وتَفَطَّر، أي: انشقَّ. وتَفَطَّرت الجبال والأرض: انصدعت. وتَفَطَّرت يدُهُ، أي: تَشَقَّقت)[٤٠].

أمَّا الفَطْمُ، فلا خلاف بينهم أنَّ معناه: القَطْع؛ قال غوَّاصُ اللُّغة وقدوة اللغويِّين الخليل الفراهيدي ﷺ : (فَطَمَت الصَّبيَّ أمُّهُ، تفطمه، أي: تقطعُهُ عن الرِّضاع)[٤١].

ولا يخفى أن الشقَّ فيه معنى القطع، وكذلك القطع فيه معنى الشقِّ، ويزيدُ الأمر وضوحاً، والمعنى جلاءً، قول الفراهيدي ﷺ - في مادة [ع ق ق] -: (قال أبو عبد الله: أصل العَقِّ الشَّق. وإليه يرجعُ عقوقُ الوالدين، وهو قطعهما، لأنَّ الشقَّ والقطعَ واحدٌ)[٤٢].

وبهذا البيان بان اتحاد المعنى بين اسم (فاطر) و(فاطمة)، فإذا أضفناه إلى المشاركة في معظم أصولهما، اجتمعت فيهما أركان الاشتقاق الأكبر، وهو ما عقدنا هذا الفصل من أجله، فالحمد لله أولاً وآخراً.

كلمة الختام :ـ

أسأل الله تعالى أن تكونَ هذه المقالة ترويجاً لفضيلة من فضائل سيدة النِّساء (سلام الله عليها)، ونفضاً لغبار التَّشكيك والتزييف الذي ينشرُهُ بعض المتطفِّلين بين الحين والآخر، وانتصاراً لحقِّها الذي لا ينفكُّ أعداؤها وبعضُ من تأثَّر بهم عاملين على طَمْس مَعَالمه، ولكنَّها ثمرةُ نور الله، ويأبى الله إلا إتمام نوره، ولو كره الحاسدون.

عَجَبَاً لإسمٍ جَلَّ عَنْ دَرْكِ الحِجَى ... يبدُو جَليَّاً وَهْوَ سرٌّ مُبهَمُ

إنْ كانَ ذا حَالُ اسمِهَا والإسمُ مِرآةُ ... المُسَمَّى والمسَمَّى أعظَمُ

فلتَسجُدِ الألبَابُ عِندَ حُروفِهِ ... لا تقتَربْ إنَّ الدُّنوَّ مُحرَّمُ

وإذا أبَـــتْ إلا اقتِرَابـــاً فلـــيَكُنْ إنَّ الأنُوفَ لَـدى الحُـروفِ سَـتُرغَمُ[٤٣]

وكتَبَ عُبيدُها أحمد الدُّر العاملي (عاملَهُ الله بِلُطفه الخفي)، مجاوراً لسيِّدةِ حَرَم آل محمَّد، المعصومةِ فاطمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

هوامش البحث

(١) من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، انظر: عيون الحكم والمواعظ للواسطي ص٣٧٢
(٢) المحاسن للبرقي ج١ ص٢٠٧ ح٦٦
(٣) من وصايا الشهيد الثاني رحمه الله في كتاب منية المريد ٢١٥- ٢١٨، ((بتصرف)).
(٤) الكافي للكليني ج١ ص٤٣ ح٧
(٥) نهج البلاغة ص٥٦٦ الكلمة:٢٢
(٦) المصدر نفسه ص٥٩٢ الكلمة١٣٨
(٧) عيون الحكم والمواعظ ص٢٨
(٨) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي رحمه الله ص٥٩٨، وراجع: الكافي ج٨ ص١٦٢ ح١٦٩
(٩) أصول الكافي ج١ ص٥٤ ح٢
(١٠) سورة آل عمران من الآية٦٩
(١١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٢٢٠ في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قُلنا للملائكة اسجُدُوا﴾، وغيره عنه.
(١٢) شرح الأخبار ج٢ ص٥٠٠ ح٨٨٤
(١٣) نفس المصدر ج٣ ص٦ ح٩٢٣
(١٤) معاني الأخبار ص٥٦ ح٥، وراجع: علل الشرائع ج١ ص١٣٥ ح٢
(١٥) معاني الأخبار ص٥٦ ح٣
(١٦) مقتضب الأثر ص٧
(١٧) دلائل الامامة ص٤٤٨ ح٤٢٤/٢٨، وانظر: الهداية الكبرى للخصيبي ص٣٧٦، ومختصر بصائر الدَّرجات للحلي ص٢٦٦
(١٨) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ص٢٣، وانظر: شرح إحقاق الحق ج٩ ص١٠٤
(١٩) أقول: ذكر السيد هاشم البحراني رحمه الله سَنَده إلى أبان في هذا الحديث، قال:
الخامس عشر: صاحب المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة قال: حدث محمد بن علي بن سعد الجوهري، عن القاسم بن الحسن، عن أبيه الحسن، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن علي بن العباس، عن أبان...إلخ. انظر: غاية المرام ج١ ص٣٢

(٢٠) الدُّرُّ النَّظيم ص٧٦٣

(٢١) تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج٢ ص٦٢٤ ح٧

(٢٢) الخصائص العلوية ـ مخطوط، عنه: نفحات الأزهار للسيد الميلاني ج٥ ص٦٩، وروى الحمويني هذا الحديث، بإسناده عن النطنزي، في كتابه: فرائد السمطين، وعنه: غاية المرام ج١ ص٢٧، وشرح إحقاق الحق ج٥ ص٣

(٢٣) أقول: بعد البحث والتدقيق في تراجم المؤلّفين ومؤلّفاتهم، لم نعثُر على مؤلَّفٍ بهذا الإسم ـ يحتملُ أن يكون هو المراد ـ سوى الدرِّ الثمين لابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ للهجرة، أنظر: هدية العارفين للبغدادي ج١ ص٥٢١، ترجمة ابن الجوزي.

والكتاب ليس في متناول الأيدي، لا مطبوعاً، ولا مخطوطاً، وقد ذكروا أن نسخته الوحيدة موجودة في خزانة الدولة/ برلين/ ألمانيا، رقمه: ١٢١٢٦١٧، عدد أوراقه ١٠٣ ورقة، نسخ عام: ٩٨٧ هـ، بخط: عبد الغني بن محمد العلوي؛ بناءً على ما في موقع أهل الحديث، على الشبكة العنكبوتية.

فالظَّاهر أنَّه صاحب الكتاب، خلافاً لما احتملهُ المحقق الكجوري ﷺ في الخصائص الفاطمية ج١ ص٥٠ قائلاً: (ولعلَّه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني).

حيثُ إنَّ أبا نعيم الاصفهاني لم يؤلِّف كتاباً بهذا الاسم، بناءً على ما ذكروه في تراجمه.

ملاحظة: يوجد كتاب بهذا الإسم لمؤلِّفٍ متقدِّمٍ على صاحب البحار ﷺ، وهو: الدُّرُّ الثَّمين في ذِكْرِ خمسماية آية نَزَلَت مِن كلام ربِّ العالمين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، للمولى الحافظ رجب البرسي رحمه الله (ق٩).

والكتاب موجود عندنا، وليست الرواية فيه، نعم فيه رواية تصلح أن تكون شاهداً على هذه، ذكرت التَّوسُّل بالخمسة عليهم السلام، دون التعرُّض للكيفيَّة.

(٢٤) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٤٥ ح٤٤، وله شواهد كثيرة في مصادرنا، من طُرُقنا وطرق غيرنا من المسلمين، راجع: روضة الكافي للشيخ الكليني ج٨ ص٣٠٤، و معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص١٢٥، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي ج١ ص٥٤٧، والعمدة لابن البطريق ص٣٧٩، وغيرها.

(٢٥) نهج البلاغة ص٥٩٥ رقم١٥٩

(٢٦) راجع: كتاب العين ج٥ ص٨، والقاموس المحيط ج٣ ص٢٥١، وغيرهما.

(٢٧) ويرشدُ إلى ذلك مجموعةٌ من الشواهد والمؤيِّدات، منها: رواياتُ الاشتقاق نفسها، حيثُ إنها أفصحت عن اشتقاق اسمٍ عربيٍّ من اسمٍ عربيٍّ آخر، وذلك قبل خلق آدمَ عليه السلام؛ ومنها:

ما رواه صدوقُ الطَّائفة ﷺ بإسناده، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: **((ما أنزل اللهُ تعالى كتاباً ولا وحياً إلا بالعربيّة، فكان يَقَعُ في مسامع الأنبياء عليهم السلام بألْسِنَةِ قومِهِم، وكان يَقَعُ في مسامع نبيِّنَا بالعربيّة، فإذا كَلَّمَ بِهِ قومَهُ كلَّمَهُم بالعربيّة، فَيَقَعُ في مسامِعِهِم بِلِسَانهم. وكان**

أحَدُنا لا يُخَاطِبُ رسول الله بأيِّ لسانٍ خاطبَهُ إلا وَقَع في مسامعِهِ بالعَرَبيَّة، كلُّ ذلكَ يُتَرجِمُ جبرئيلُ عليه السلام عنه، تشريفاً من الله عزَّ وجَلَّ له)). انظر: علل الشرائع ج١ ص١٢٦ ح٨.

(٢٨) مشارق أنوار اليقين ص٦٢، وعنه: بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٣ ح٣٩ وج٢٦ ص٢٩١ ح٥١ والأنوار النعمانية ج٢ ص٩٩.

(٢٩) الكافي ج١ ص١٣٤ ح٣، وانظر: التوحيد للشيخ الصدوق ص١٧١ ح٣

(٣٠) الكافي ج٤ ص١٩٠ ح١

(٣١) شرح الإشارات ج٣ ص٤١٨

(٣٢) الرسائل التسع ص٦٦

(٣٣) انظر: الخصائص لابن جني ج١ ص٤٩٠

(٣٤) عبَّر ابن جني رحمه الله عن هذا الاشتقاق بالكبير تارة وبالأكبر أخرى، كم عبَّر عن الاشتقاق الصغير بالأصغر أحياناً.

(٣٥) لقد التزم أبو الفتح ابنُ جني رحمه الله بهذه الصَّلوات عند ذكره لأمير المؤمنين عليه السلام، حتى عاب عليه محقِّقُ كتاب الخصائص أسلوبَه هذا، ونبَّه على أنَّها من مختصَّات الشيعة، وأنَّه ليس من عادة علماء العامة اتباع هذا الأسلوب، لِيُوهِمَ القارئَ عدَمَ تشيُّع ابن جني رحمه الله، فخاب وما أفلح.

(٣٦) الخصائص ج٢ ص١٣٣-١٣٥

(٣٧) الكافي ج٤ ص١٩٠ ح١

(٣٨) الحاشية على الكشاف ص٤٦

(٣٩) وقد التبس الأمر على بعضهم، فنسبوا الغلط إلى ابن قدامة، لقِصَرِ باعهم في اللغة العربية وخصائصها، وقَصْرِ معرفتهم على الاشتقاق الصغير دون غيره، غافلين عن الإشتقاق الأكبر، فكانوا بنسبة الغلط إليهم أحقَّ من نسبته إلى ابن قدامة.

(٤٠) كتاب العين ج٧ ص٤١٨، وتبعَهُ جميعُ اللُّغويِّين على ذلك، فراجع أمهات مصادرهم.

(٤١) نفس المصدر ص٤٤٢

(٤٢) نفس المصدر ج١ ص٦٣

(٤٣) ديوان: مرآة الشعور ص١٣٣

قائمة المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم، حسب الترتيب الهجائي

١ـ الأنوار النعمانية

للسيد نعمة الله الموسوي الجزائري (ت ـ ١١١٢هـ) .

٢ـ بحار الأنوار

للعلامة المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ـ ١١١٠هـ) الناشر: مؤسسة الوفاء ـ بيروت

٣ـ تأويل الآيات

للأسترآبادي، السيد شرف الدين علي الحسيني (ت ـ ق١٠هـ) الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عج) - قم المقدسة

٤ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام

المنسوب للإمام الحسن بن عليٍّ العسكريٍّ عليه السلام (ت ـ ٢٦٠هـ) الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عج) ـ قم المقدسة

٥ـ تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين

لابن كرامة، المحسن بن محمد البيهقي (ت ـ ٤٩٤هـ) الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية

٦ـ التوحيد

للصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ـ ٣٨١هـ) الناشر: جماعة المدرِّسين

٧ـ الحاشية على الكشاف

لشريف الجرجاني، علي بن محمد (ت ـ ٥٣١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر

٨ـ الخصائص العلوية

للنطنزي، محمد بن علي الكاتب (ت ـ ٥٥٠ هـ) مخطوط

٩ـ الخصائص

لابن جني، أبي الفتح عثمان بن جِنّي (ت ـ ٣٩٢ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٠ـ الدُرّ النّظيم

لابن حاتم، جمال الدين بن يوسف العاملي (ت ـ ٦٦٤ هـ) الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة.

١١ـ الدر الثمين

لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ـ ٥٩٧ هـ) مخطوط

١٢ـ دلائل الامامة

لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ـ أوائل القرن الخامس الهجري) الناشر: مؤسسة البعثة

١٣ـ الرسائل التسع

للمحقق الحلي، أبي القاسم جعفر بن الحسن (ت ـ ٦٧٦ هـ) الناشر: مكتبة المرعشي

١٤ـ شرح الأخبار

للقاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ـ ٣٦٣هـ) الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي

١٥ـ شرح إحقاق الحق

للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي (ت ـ ١٤١١هـ) الناشر: مكتبة المرعشي ـ قم المقدسة

١٦ـ شرح المختصر الخرقي

للزركشي، محمد بن عبد الله (ت ـ ٧٩٤هـ)

١٧ـ شرح الإشارات

لابن سينا، حسين بن عبد الله (ت ـ ٤٢٧ هـ)

١٨ـ علل الشرائع

للصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ـ ٣٨١هـ) الناشر: المكتبة الحيدريَّة

١٩ـ عمدة عيون صحاح الأخبار

لابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي (ت ـ ٦٠٠ هـ) الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي

٢٠ـ عمدة القاري

للعيني، محمود بن أحمد (ت ـ ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي

٢١ـ عيون الحكم والمواعظ

للواسطي، علي بن محمد الليثي (ت ـ ق٦ هـ) الناشر: دار الحديث

٢٢ـ غاية المرام

للسيد هاشم البحراني (ت ـ ١١٠٧هـ)

٢٣ـ فرائد السمطين

للحموييني، إبراهيم بن محمد (ت ـ ٧٢٢هـ)

٢٤ـ القاموس المحيط

للفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ـ ٨١٧هـ)

٢٥ـ الكافي

للكليني، محمد بن يعقوب (ت ـ ٣٢٩هـ) الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران

٢٦ـ كتاب العين

للفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ـ ١٧٥هـ) الناشر: مؤسسة دار الهجرة ـ إيران

٢٧ـ المحاسن

للبرقي، أحمد بن محمد بن خالد (ت ـ ٢٧٤هـ) الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران

٢٨ـ مختصر بصائر الدّرجات

للحسن بن سليمان الحلي (ت ـ أوائل القرن التاسع الهجري) الناشر: المكتبة الحيدرية

٢٩ـ مرآة الشعور

للدر العاملي، أحمد بن محمود (معاصر) الناشر: دار المحجة البيضاء

٣٠ـ مستطرفات السرائر

لابن إدريس الحلي، أبي جعفر محمد بن منصور (ت ـ ٥٩٨هـ) الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة

٣١ـ مشارق أنوار اليقين

للحافظ رجب البرسي (ت ـ ق٩) .

٣٢ـ معاني الأخبار

للصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ـ ٣٨١هـ) الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي

٣٣ـ المغني

لابن قدامة، عبد الله بن أحمد (ت ـ ٦٢٠هـ) الناشر: دار الكتاب العربي

٣٤ـ مقتضب الأثر

للجوهري، أحمد بن عبيد الله بن عيَّاش (ت ـ ٤٠١هـ) الناشر: مكتبة الطباطبائي ـ قم المقدسة

٣٥ـ مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

لمحمد بن سليمان الكوفي (ت ـ ق٣هـ) الناشر: مجمع احياء الثقافة الاسلامية ـ قم المقدسة

٣٦ـ منية المريد

للشهيد الثاني، زين الدين بن علي العاملي (ت ـ ٩٦٥هـ) الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي

٣٧ـ نفحات الأزهار

للسيد علي الحسيني الميلاني (معاصر) الناشر: المؤلِّف

٣٨ـ نهج البلاغة

للشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي (ت ـ ٤٠٦هـ) الناشر: العتبة العلوية المقدسة ـ النجف الأشرف

٣٩ـ الهداية الكبرى

للخصيبي، الحسين بن حمدان (ت ـ ٣٣٤هـ) الناشر: مؤسسة البلاغ ـ بيروت

٤٠ـ هدية العارفين

لإسماعيل باشا البغدادي (ت ـ ١٣٣٩ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت